فوكوياما، نهاية التاريخ وفرضية الاستسلام لليبرالية

Fukuyama, The End of History and the Hypothesis of Surrender to Liberalism

لوحيدي فوزي *

جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي(الجزائر)، faouzilouhidi@gmail.com

تاريخ الاستقبال: 2021/12/07؛ **تاريخ القبول**: 2021/03/30؛ **تاريخ النشر**: 2021/04/15

الملخص

تهدف هذه المقالة الى التطرق الى فكرة نهاية التاريخ التي يعالج فيها الفيلسوف الأمريكي من أصل ياباني والتي تدور حول أن التاريخ في مسيرته يتجه بالقسط الأعظم من البشرية صوب الديمقراطية الليبرالية التي تشكل نقطة النهاية في التطور الأيديولوجي للإنسانية والصورة النهائية لنظام حكم البشر ، وبعد أن لحقت الهزيمة بالنظم والأيديولوجيات المنافسة مثل الملكية الوراثية والفاشية وبعد انتصار الغرب على الشرق الشيوعي في الحرب الباردة،وسنحاول أن نبين أهم النتائج التي وصل إليها مقدمين في الأخير انتقادا لهذه الفكرة.

الكلمات المفتاحية : نهاية التاريخ ، الديمقراطية الليبرالية ،الغرب ، الايدولوجيا

Fukuyama, the end of history and the assumption of surrender to the Pro-Liberals

Abstract :
This article aims to address the idea of the end of history in which the American philosopher of Japanese origin deals with the fact that history in his career is moving the bulk of humanity towards liberal democracy, which is the end point in the ideological development of humanity and the final picture of the system of human rule, and after the defeat of competing systems and ideologies such as genetic property and fascism and after the victory of the West over the Communist East in the Cold War, we will try to show the .most important results reached by the presenters in the latter criticism of this idea

.The end of history, liberal democracy, the West, ideology :**Keywords**

* **المؤلف المرسل**

I- تمهيد :

الظاهر أن فكرة نهاية التاريخ ليست بدعة جديدة في الفلسفة الغربية الحديثة ، وما يتبادر إلى الذهن بشأنه إن على الأقل بالنسبة إلى الباحثين في هذا المجال وهم أنها تنتمي إلى السياق العام لمذهب الفيلسوف الألماني الكبير هيجل 1770 1831 وماركس وهنا يقول فوكوياما لم يكن تعبير «نهاية التاريخ» من اختراعي، فقد استخدمه للمرة الأولى الفيلسوف الألماني العظيم جورج فيلهام فريدريك هيجل .كان هيجل أول فيلسوف تاريخاني، أي أنه يعتقد باستحالة فهم التاريخ أو المؤسسات البشرية دون فهم تطورها على مر التاريخ. اتبع كارل ماركس نفس طريقة تفكيره، وقدم نسخته من «نهاية التاريخ»، والتي ربما تكون النسخة الأشهر من النظرية. كان طرح ماركس أن المجتمعات البشرية تنمو وتتقدم من مجتمعات بدائية غير مفيدة إلى أن تصبح مجتمعات برجوازية، وكانت نهاية التاريخ في رأيه هي اليوتوبيا الشيوعية، كان هذا ما يأمله ماركس ويتنبأ به (**الحسيني مُحَمَّد ، 2020/02/16**). حيث نجد هيغل يعرض وصف تحليليا مسهبا لمراحل ما تصور أنه مسيرة للتاريخ البشري مركزا في أساسه على التطور الروحي والفكري ، قد هدف في هذا الوصف إلى إبراز أهمية عنصر الصراع ، باعتباره محركا رئيسيا لتلك المسيرة ، كما شدد على الدور الأساسي الذي يقوم به الفكر في الصراع المذكور ، وسعى في نهاية المطاف إلى استشراف الغاية النهائية التي تتجه إليها مسيرة التاريخ وتنح والى تحقيقها .وكأن قصد الفيلسوف في موسوعته التاريخية هو سرد قصة فلسفية عن ظهور الوعي والفكر وتطوره ، وصيرورته نحو تحقيق درجة الكمال المطلق ، في جميع المجالات ، ولعل أوفى تقديم لهذه الصيرورة نجده في كتاب فينومينولوجيا الروح المنشور عام 1807 ، لقد قدم الفيلسوف في هذا الكتاب نظرية عن تاريخ كلي وشامل لتطور الوعي والفكر الإنساني من منظور المترقي في الزمان ، بفعل الصراع بين المتناقضات وهكذا أطلعنا على مشاهد لهذا الفكر وهو يتطور جدليا من الأدنى إلى الأرقى ، ومن ابسط تجلياته إلى أسماها وأغناها إطلاقا حتى أدرك ذروته النهائية في فكر الفيلسوف وفي عهده حينئذ توقف فجأة عن التطور .

والحق إن تاريخ الفكر الفلسفي الحديث يؤكد أن هيغل هو الرائد الفعلي لفكرة نهاية التاريخ فقد رأى الفيلسوف الألماني في انتصارات الإمبراطور الفرنسي نابليون بونابرت في معاركه الكبرى في أوروبا وخاصة معركة بيينا في النمسا عام 1806 أمارات دالة على النصر النهائي للأفكار والمبادئ التي أتت بها الثورة الفرنسية الكبرى عام 1789 ففي نظره تحددت مبادئ هذه الثورة واتضحت أكثر ، كما تحققت على أرض الواقع الملموس وبذلك اكتسبت صفة العالمية وقرا فيلسوفنا في ذلك علامات على أن التاريخ أدرك غايته ونهايته ومن هنا مبادرته إلى التبشير بنهاية الصراع وبمستقبل زاهر للبشرية .

1)من هو فوكوياما

يوشيهيرو فرانسيس فوكوياما ولد في 27 أكتوبر 1952، هو أميركي متخصص في العلوم السياسية، والاقتصاد السياسي، ومؤلف كبير، يشتهر فوكوياما بكتابه ‘‘نهاية التاريخ والرجل الأخير’’ (1992)، الذي جادل بأن الانتشار العالمي للديمقراطيات الليبرالية ورأسمالية السوق الحرة في الغرب وأسلوب حياتها قد يشيران إلى نقطة النهاية للتطور الاجتماعي والثقافي للبشرية وتصبح الأخيرة شكل الحكومة البشرية.

—ومع ذلك، كتابه اللاحق: الفضائل الاجتماعية وخلق الرخاء (1995) قام بتعديل موقفه في وقت سابق للاعتراف بأن الثقافة لا يمكن فصلها بشكل نظيف عن الاقتصاد، يرتبط فوكوياما أيضًا بصعود حركة المحافظين الجدد، التي نأى بنفسه عنها منذ ذلك الحين.

–كان فوكوياما عضوا في معهد فريمان سبوجلي للدراسات الدولية منذ يوليو 2010 ومديرًا لموسباكر بمركز الديمقراطية والتنمية وسيادة القانون بجامعة ستانفورد، وقبل ذلك، شغل منصب أستاذ ومدير برنامج التنمية الدولية في كلية الدراسات الدولية المتقدمة في جامعة جونز هوبكنز.

–وهو عضو في مجلس المنتدى الدولي للدراسات الديمقراطية الذي أسسته المؤسسة الوطنية للديمقراطية وكان عضواً في قسم العلوم السياسية في مؤسسة راند.

2)طرح الفكرة

لقد حاول فوكوياما من خلال فرضيته بعث الروح في فلسفة التاريخ في زمن بدا فيه أن الاهتمام بهذا الفرع قد تضاءل كثيرا وان نجمها أمسى إلى الأفول حيث حاول تطوير النظرية الهيغلية وحاولا إثبات مصداقيتها وصلاحيتها لتفسير مرحلة مهمة من التاريخ المعاصر ، تمتد من الحرب العالمية الثانية حتى سقوط جدار برلين ومع انهيار دول الكتلة الشيوعية هكذا ومن منطلق وتصور هيغليين واضحين أعلن المفكر الأمريكي فكرته بأن من المحتمل جدا إلا يكون ما نشاهده اليوم مجرد نهاية للحرب الباردة ، أو لمرحلة لما بعد الحرب بل هو نهاية للتاريخ ذاته بمعنى أن تطور البشرية الإيديولوجي أدرك ذروته التي تتمثل في عولمة الديمقراطية الليبرالية الغربية باعتبارها الشكل الراقي النهائي لأنظمة الحكم الإنساني (**عبد الرزاق الداوي ، 2013، ص ص 61 62 63**).

وبهذا قدم المفكر الأمريكي من أصل ياباني فرانسيس فوكوياما أطروحته حول نهاية التاريخ في مقال له بنفس العنوان في صيف 1989 في مجلة the national interestوقد دفعت الانعكاسات والحوارات التي دارت حول أطروحته إلى تطويرها ونشرها في صورة كتاب .

يقول الأستاذ مطاع صفدي المشرف على ترجمة وتقديم الكتاب إلى العربية : قد يكون كتاب فوكوياما من أهم ما صدر على الصعيد الأيديولوجي في الغرب الامريكني بعد عدوان المؤسسة الامريكنية على العرب ، وتفكك الاتحاد السوفيتي ، وزوال كل ما كان يعنيه مصطلح المعسكر الشرقي ، ولعل تميزه ذاك لا يصدر أولا عن طرافة البحث وغزارة المادة، بقدر ما هو وثيقة أو بيان أول تعلنه الليبرالية ، وهي تجدد نفسها وتزعم استئناف مشروعها ، وحيدة هذه المرة لا ينازعها أي جبار أيديولوجي أو عسكري سياسي أو معارضة قادرة .

لذلك لا يعتمد الكتاب قوة المحاجة الفكرية ،ولا الحقيقة التاريخية ، بقدر ما يستند إلى ما تحصل من أمر واقع بحسب المصطلح الاستراتيجي، لكن هذا لا يعني أن الكاتب لم يحاول أن يحشد ما يستطيع من الموضوعات الفكرية والتاريخية التي تساعده على إنارة أطروحته.(**فرنسيس فوكوياما ، 1993،ص5**).

الأطروحة التي يدور الكتاب حولها هي أن التاريخ في مسيرته يتجه بالقسط الأعظم من البشرية صوب الديمقراطية الليبرالية التي تشكل نقطة النهاية في التطور الأيديولوجي للإنسانية والصورة النهائية لنظام حكم البشر ، وبعد أن لحقت الهزيمة بالنظم والأيديولوجيات المنافسة مثل الملكية الوراثية والفاشية وبعد انتصار الغرب على الشرق الشيوعي في الحرب الباردة ، يكون التاريخ قد وصل إلى نهايته لأنه حقق غايته المتمثلة في الحرية والمساواة وهي الغاية التي لا تتحقق إلا في ظل الديمقراطية الليبرالية السائدة في الولايات المتحدة الأمريكية وغرب أوربا (**دبلة عبد العالي، 2006/2007**).

ويقول فوكوياما في هذا الصدد (ومع ذلك فالنبأ السار قد حل إن التطور الأبرز لهذا الربع الأخير من القرن العشرين هو انكشاف الضعف الهائل الملازم للدكتاتوريات العالمية التي تبدو وكأنها قوية جدا ، أكانت دكتاتوريات يمينية عسكرية متسلطة أو يسارية شيوعية توتاليتارية فخلال العقدين

الأخيرين انهارت حكومات كثيرة قوية من أمريكا اللاتينية إلى أوروبا الشرقية ومن الاتحاد السوفيتي إلى الشرق الأوسط وآسيا ، حتى لو أنها لم تفتح الطريق دائما نحو ديمقراطيات ليبرالية مستقرة ، فان الديمقراطية تبقى التطلع السياسي الوحيد المتماسك الذي يربط مناطق وثقافات مختلفة في جميع أنحاء الكرة الأرضية فضلا عن ذلك فقد انتشرت المبادئ الاقتصادية للبرالية ـ السوق الحرة ـ ونجحت في مستويات لم يسبق لها مثيل في الازدهار المادي إن في البلدان المتطورة صناعيا أو البلدان التي كانت عند نهاية الحرب العالمية الثانية تشكل جزءا من العالم الثالث المصاب بالفقر ، وقد رافقت الثورة الليبرالي في الفكر الاقتصادي دائما. تارة قبل وتارة بعد ـ التطور نحو الحرية السياسية في العالم اجمع .).(**فوكوياما، مرجع سابق ، ص 25**).

ويحاول المؤلف أن يعطي بأنه يطرح أفكاره بموضوعية دون أحكام مسبقة فهو يطرح ببراءة الأسئلة التالية:

ـ هل يوجد،بشكل ملموس، في العالم الراهن بدائل للديمقراطية الليبرالية قابلة للحياة ؟

ـ هل انتهت الشيوعية حقا ؟

ـ وهل بإمكان الدين أو القومية المتطرفة العودة وبشكل قوي ؟

أما السؤال الأكثر جدية والأكثر عمقا ، حسب فوكوياما فيتعلق بصلاح الديمقراطية الليبرالية وبقدرة المجتمعات الديمقراطية الناجحة أن نبقى كذلك أي ما لا نهاية : هل أن الديمقراطية الليبرالية فريسة تناقضات داخلية جدية ستؤدي إلى انهيار النظام السياسي الذي تشكله ؟.(**حسين علي، 2002، ص43**).

يجيب فوكوياما على سؤاله بما يلي :

(من المؤكد أن الديمقراطيات المعاصرة تواجه الكثير من المشاكل الحساسة ، بدءا من المخدرات والتشرد والجريمة ، وصولا إلى الإضرار المسببة للبيئة والى عبث الاستهلاك ، ولكن كما يبدو فان المشاكل ليست بلا حل حسب قاعدة مبادئ الليبرالية ، وهي ليست من الخطورة بحيث أنها ستؤدي لا محالة إلى انهيار المجتمع بمجمله كما شهدنا الشيوعية تنهار في نهاية الثمانينات .

لقد أكد الكسندر كوجيف بإلحاح ، وهو احد المفسرين لهيغل في القرن العشرين ، أن التاريخ انتهى ، لان ما يدعوه بالدولة الشمولية والمنسجمة ـ بالنسبة لنا الديمقراطية لليبرالية ـ قد حلت بشكل نهائي مسألة الاعتراف مستبدلة علاقة السيد بالعبد بالاعتراف الشمولي والمتساوي ، فان ما بحث عنه الإنسان خلال مجرى التاريخ ـ وما حدد حقبات التاريخ السابقة ـ كان الاعتراف ، أما في العالم الجديد فقد وجده وهو بذلك قد رضي كليا . هذا القول قد جرى الإعلان عنه من قبل كوجيف بجدية بالغة ، ومن الضروري من جهتنا أن نأخذ بالجدية نفسها ، فمن الممكن فعلا أن نفهم المسألة السياسية خلال آلاف السنين من التاريخ الإنساني كمجهود لحل مشكلة الاعتراف ، هذا الاعتراف هو المشكلة المركزية للسياسة والامبريالية ورغبة السيطرة ، غير أنه وان كان له وجه غامض فلا يمكن استئصاله ببساطة من الحياة السياسية ، لأنه في الوقت نفسه الركيزة النفسانية للصفات والفضائل شأن الشجاعة وروح الصالح العام والعدالة . كل المجموعات السياسية يتوجب عليها أن تستند إلى رغبة الاعتراف ، مع حماية نفسها من آثارها المدمرة ، فلو أن إحدى الحكومات الدستورية وجدت صيغة يجري فيها الاعتراف بالجميع بشكل يتجنب بروز التسلط ، فإنها إذ ذاك تستطيع الاتجاه بشكل خاص نحو الاستقرار ونحو إطالة عمرها بين الأنظمة التي تظهر على الأرض).(**فرنسيس فوكوياما، 1993، ص31**).

ويرى فوكوياما أن هذه الديمقراطية الليبرالية ستظل المطمح السياسي الواضح الوحيد في مختلف المناطق والثقافات في كوكبنا هذا وهي أيضا ارض الميعاد .

وبعد حوالي شهر من أحداث سبتمبر 2001 نشر فوكوياما مقالا أكد فيه أن العالم لا يزال في مرحلة نهاية التاريخ ، وأصر على ليس أن عالمنا المعاصر إلا نمطان من المجتمعات ، مجتمعات حديثة ومتقدمة ، تعيش في رغد ونعيم الديمقراطية والرأسمالية الليبرالية ، ومجتمعات أخرى متخلفة، بسبب رفضها الالتحاق بركب الحداثة الجديدة والانخراط في هذا النظام الكوني ،وجدد الفيلسوف حكم على مجتمعات الصنف الثاني بأنها تسير في الاتجاه المعاكس للتيار العارم للديمقراطية الليبرالية التي ستظل وحدها النظام الأكثر ملائمة للطبيعة البشرية وبالتالي هي مجتمعات مناهضة للحداثة وعصية على التقدم. (**عبد الرزاق الداوي، مرجع سابق، ص66**).

3)كيف يصل التاريخ إلى الديمقراطية الليبرالية :

إن وصول التاريخ إلى غايته (أي الديمقراطية الليبرالية) يتم وفق تفسير فوكوياما بفعل آليتين أساسيتين :

أولاهما : العلوم الطبيعية .

ثانيهما :تتمثل في الصراع من أجل نيل التقدم والاحترام ، وهي فكرة مستمدة من نظرية هيجل في التاريخ ، فالإنسان بجانب حاجته الطبيعية وتطلعاته إلى أشياء خارجة (كالطعام والشراب والمأوى) يرغب ويتطلع إلى رغبة الآخرين أي انه يريد منهم الاعتراف به وتقديره وهذه الرغبة تؤسس لديه الاستعداد للمخاطرة بحياته من أجل المنزلة المجردة ، وتعد هذه الرغبة من وجهة نظر هيجل هي المحرك لعملية التاريخ ويستخدم فوكوياما اللفظة الإغريقية الثيموس thymos لتفسير هذه الرغبة وكان أفلاطون قد استخدم هذه اللفظة في حديثه عن الهمة والشجاعة ،وقد استخدم فوكوياما فكرة الثيموس لتأكيد تميز الديمقراطية الليبرالية كنموذج غربي أساسا يتفوق على ما عداه من نماذج فإدراك أهمية الثيموس حسب فوكوياما تتيح لنا إعادة تفسير الكثير من الظواهر التي تبدو معروفة مألوفة لنا كالثقافة ووالدين والعمل والقومية والحرب ..... الخ.(**دبلة عبد العالي، مرجع سابق)**

يقول فوكوياما لم يكن الطرح الذي تضمّنه مقالي يعني أن الديمقراطية أصبحت – فجأة – السمة الأساسية للعالم أو أنها ستنتشر في كل مكان بالضرورة، كما لم أقصد أن الأحداث السياسية ستتوقف بأي شكل. ما كنت أقوله هو أنه لا يبدو أن هناك أي بدائل أسمى يمكن أن يتطور العالم في اتجاهها. ونظرية التاريخ التي طرحتها في كتابي «نهاية التاريخ والإنسان الأخير» كانت نسخة ضعيفة من نظرية الحداثة، مثلما كنت أسميها في ذلك الوقت. أما النسخة القوية من هذه النظرية فكانت هي النموذج المسيطر على مجتمع العلوم الاجتماعية في الخمسينيات والستينيات، وكانت تقول بأن الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية للحداثة هي جميعها ضمن نفس عملية التطور، وأنها تدعم بعضها البعض؛ فكلما صارت المجتمعات أغنى أصبحت أكثر انفتاحًا وأكثر ديمقراطي.(**الحسيني محمّد، مرجع سابق)**.

" فالمؤمن المتدين مثلا يسعى إلى اعتراف الناس بآلهته أو ممارساته الدينية المقدسة ، بينما يطالب الوطني بالاعتراف بجماعته القائمة على أساس اللغة والثقافة أو العرق ، وهذان الشكلان من الاعتراف أقل عقلانية من الاعتراف العالمي بالدولة الليبرالية لأنهما يقومان على تمييز تحكمي بين الديني والدنيوي أو بين جماعات اجتماعية بشرية ، ولهذا فان الدين والقومية ومجتمع العادات والتقاليد والأخلاق المعقد (الثقافة) كانت في العادة تفسر على أنها عقبات في سبيل إرساء نظم سياسية وديمقراطية ناجحة واقتصاديات السوق الحرة والمغزى من هذه الفقرة هو أن الاعتراف العالمي

بالديمقراطية الليبرالية الغربية ينبغي أن يكون السائد والمهيمن على حساب أي خصوصيات ثقافية أخرى ثقافية أو قومية. (**دبلة عبد العالي، مرجع سابق**).

فالثقافة ، اللغة الدين ... كلها اتجاهات وممارسات أقل عقلانية ، أما معيار العقلانية الوحيد هو الاعتراف بقيمة الاقتصاد الحر والدول الليبرالية .يبدي فوكوياما قلقه وانزعاجه إزاء العوامل التي من شأنها أن تعوق من سيادة النموذج الغربي وهيمنته ويعبر عن ذلك بقوله إن العالم المعاصر يشهد ظاهرة مزدوجة وغريبة فمن ناحية نلمس ازدياد في تجانس البشرية الناتج عن الاقتصاديات الحديثة والتكنولوجيا غير أننا نلمس من ناحية أخرى مفارقة في كل مكان لهذا التجانس وتتضح هذه المقاومة حسب فوكوياما في مجتمعات متباينة من الدول. .(**دبلة عبد العالي، مرجع سابق**).

4)المجتمعات الدولية التي تخيف فوكوياما

أولاهما مجتمع الدول التي تشهد حاليا الإحياء الأصولي للإسلام .

ففي مقال بعنوان العالم المعاصر هو هدفهم يخلص إلى القول أن الثقافة العربية الإسلامية هي الثقافة الوحيدة التي لا تزال حتى الآن عصية على الحداثة وعلى الاحتواء الغربي لذلك على المجتمعات المنتمية إليها أن تقرر في ما إذا كانت ترغب حقا في الوصول إلى وضع مسالم مع الحداثة الغربية أم لا ، وخاصة في ما يتعلق بقضية التسامح الديني والدولة العلمانية .

أما في حالة استعصائها ومعاداتها للغرب وفي حالة تشكيلها نوعا من الفاشية الجديدة التي يسميها بالفاشية الإسلامية والتي تشكل تحديا أيديولوجيا جديدا للغرب ، قد يكون في بعض جوانبه أكثر خطورة مما مثلته المنظومة من قبل . ويحرص على أن الحرب ضدها يجب ألا تنتهي إلا باحتلال معاقلها و إبادتها وفي انتظار تحقيق ذلك يجب المبادرة إلى التدخل لإرغام الدول المنتمية إلى تلك الثقافة على مراجعة ثقافتها وتخليصها من حمولة التطرف والعنف وإصلاح مناهج التعليم فيها (**عبد الرزاق الداوي، مرجع سابق، ص ص 67 68**).

ثانيهما مجموعة الدول التي صادفت نجاحا غير عادي في لعبة الرأسمالية (اليابان وبعض الدول الأسيوية)ولو تمكنت هذه الدول من خلق بدائل للديمقراطية الليبرالية فان ذلك حسب فوكوياما سيجعل عملية الأخذ بالديمقراطية تواجه مستقبلا يشوبه الغموض .

وفي هذا يقول في تسجيل صوتي له حدث تقارب سياسي أيضًا في كلٍّ من اليابان وكوريا الجنوبية وتايوان. تحوَّلت كل دولة للديمقراطية الليبرالية بمرور الوقت، وكانت كوريا وتايوان قد تحوَّلتا بمجرد انتقالهما من مجتمعات زراعية إلى مجتمعات صناعية متمدنة في الثمانينيات. لكن هذا لم يكن نمطًا عامًا، فمعدَّل الدخل في سنغافورة أعلى من الولايات المتحدة، لكنها تحتفظ بنظامٍ انتخابي ليبراليّ سلطوي، ووصلت الصين الآن لمعدلات دخل تقارب نفس المعدلات في كوريا وتايوان في الثمانينيات، إلا أنها سارت في الاتجاه المعاكس تحت قيادة شي جين بينج لتصبح ديكتاتورية أكثر قمعًا...(**الحسيني مُحَمَّد، مرجع سابق**).

5)الميقالوثيميا كحل داخلي لمشاكل الرأسمالية الليبرالية

غير أن فوكوياما يرى أن هناك تناقضا لم تحله الرأسمالية بعد وهو يلفت النظر إلى ملاحظة الفيلسوف نيتشه والتي مؤداها أن البشر في النظام الديمقراطي يثورون على فكرة التشابه في دولة عامة متجانسة وسيجدون حياة الاستهلاك العقلاني حياة مملة وفي آخر الأمر سيريدون أن تكون لهم

مثل عليا يعيشون ويموتون على هديها كما أنهم سيميلون إلى المخاطرة بحياتهم وبالتالي سوف تخلق لديهم الرغبة في الاعتراف بالتفوق على الآخرين أو الميقالوثيميا megalothymia كما يسميها فوكوياما. .(**دبلة عبد العالي، مرجع سابق)**

تلك هي سمة النفس البشرية التي– في ما قال فوكوياما– تضمن على الرغم من وصولنا إلى نهاية التاريخ أن تلك النهاية لا تنطوي على أي انتصارية. وعجز البشر عن الإتيان بما هو خير من الديمقراطية الرأسمالية اللبرالية أي انعدام قدرتهم على التقدم نحو مجتمع أقل احتواء للصراعات والتناقضات– لا يعني أن يبقى البشر المتنافسين الجامحين من أبناء هذه المجتمعات ساكنين قانعين بما هم فيه. فالحداثة الرأسمالية المتأخرة قد تكون أعلى ذرى الحضارة التي يمكننا بلوغها لأنها الأحوى على القدر الأقل من التناقضات. ولكن ثمة سببا وجيها للشك في أن من شأننا أن ننزلق عن هذه القمة رجوعا إلى التاريخ بل إلى هوة أدنى من ذلك .

هذا لأن فوكوياما رأى أن البشر لم يظهروا الثيموس وحسب، بل وأظهروا ما أطلق عليه الميجالوتيميا megalothymia ، وهي رغبة تتجاوز التطلع إلى الاحترام والاعتراف المتناسب، إلى الرغبة في السيطرة غير المتناسبة على الآخرين سيطرة هائلة ظاهرة سافرة. وليست الميجالوتيميا بأية حال شيئا كريها دائما: فهي التي أفضت بالبشر إلى بناء الكاتدرائيات وإنجاز الأعمال الفنية العظيمة وتأسيس الإمبراطوريات والحركات السياسية، وهي التي بصفة عامة دفعت التاريخ في اتجاه التقدم إلى الأمام. لكنها إن لم تُسيَّر في قنوات لتلاءم غايات محددة فقد تتحول بسرعة إلى شر، وتجد لنفسها منفذا في الهيمنة على الآخرين وقمعهم.

ورأى فوكوياما أن الملفت في الديمقراطية الرأسمالية اللبرالية هو أنها استطاعت أن تضع غطاء يكبح أشد تجليات الميجالوتيميا تدميرا، بتشجيع المواطنين على توجيه هذه الطاقات إلى تجليات غير ضارة اجتماعية من قبيل تسلق الجبال والرياضات التنافسية. وهو ما قد يبدو أشبه بنتيجة لطيفة. لولا أن فوكوياما رأى أن ثمة استجابة دموية لهذه النزعة لم تر الأخطار الخفية الكامنة في نهاية التاريخ (**بول ساجار ،03 أبريل 2017**).

ويرى فوكوياما أن طول أمد الديمقراطية واستقرارها إنما يرتكزان على نوعية ومنافذ الميجالوثيميا المتوافرة للمواطنين في مجتمع نهاية التاريخ الليبرالي ويعد النشاط التجاري والصناعي وغيره من صور النشاط الاقتصادي أهم هذه المنافذ في المجتمع الليبرالي وفي المجال العام الداخلي تحتل الانتخابات منفذا للميجالوثيميا أما في المجال العام الخارجي فثمة بعض الديمقراطيين الذين يتمكنون من تحقيق درجة من الاعتراف غير متوافرة في سائر مناحي الحياة ويقول فوكوياما إن زعماء مثل ونسون وتشرشل وجورج بوش قد ساورهم الطموح إلى الاعتراف بتفوقهم فأقدموا على قرارات مهمة في ميدان الحرب

يقول من الجائز أن يكون من حسن حظ الديمقراطية الليبرالية وجود العالم الثالث حتى يمتص طاقات ومطامح مثل هؤلاء الناس أما إذا ما كان هذا في مصلحة العالم الثالث أو لا فأمر مختلف. .(**دبلة عبد العالي، مرجع سابق)**.

6)الثقة ودورها في الحفاظ على مؤسسات المجتمعات الليبرالية

وفي كتاب آخر لفوكوياما معنون " الثقة " إن النشاط الاقتصادي الذي يشكل الجانب المحوري في حياتنا المعاصرة لا يمكن فصله عن مجمل النشاطات الاجتماعية والسياسية ومن الخطأ اعتباره قطاعا مستقلا يتمتع بقوانينه الذاتية بمعزل عن باقي قطاعات المجتمع ، فالاقتصاد في أي مجتمع يشكل واحدا من أكثر مجالات التواصل الاجتماعي ، إذ يكاد لا يوجد شكل من أشكال النشاط الاقتصادي يمكن الاستغناء فيه عن التعاون والتكافل الاجتماعي بدءا من مصبغة صغيرة لتنظيف الملابس وانتهاء بمصنع ضخم .

مكان العمل يحقق وظيفة اجتماعية أيضا حيث يجذب الأفراد خارج إطار حياتهم الخاصة ويربط بينهم في رحاب عالم اجتماعي اشمل وهذا الترابط والتواصل ليس مجرد وسيلة غايتها الحصول على اجر فحسب بل هو غاية أساسية للحياة الإنسانية ذاتها .

وفي هذا السياق يقول فوكوياما في كتابه الثقة :

واليوم ، بعد التخلي عن الوعد المأمول للهندسة الاجتماعية، يدرك المراقبون المختصون جميعهم أن المؤسسات السياسية والاقتصادية الليبرالية تعتمد في وجودها على مجتمع مدني معافى ومفعم بالحيوية، والمجتمع المدني هو خليط مركب من مؤسسات وسيطة تشمل الشركات والجمعيات التطوعية والنقابات والنوادي والكنائس والمؤسسات الخيرية والإعلامية والتربوية والتعليمية. يعتمد بدوره على الأسرة الأداة الرئيسية التي تجعل الفرد يتواصل مع ثقافته ويكتسب الخبرات والمهارات الضرورية التي تؤهله للعيش في كنف المجتمع الأوسع، فضلا عن توارث قيم هذا المجتمع ومعارفه وبثها عبر الأجيال المتلاحقة .

وبالطبع لا يمكن لأي حكومة إصدار مرسوم تشريعي بإيجاد بنية عائلية قوية ومستقرة، ومؤسسات اجتماعية متينة بالطريقة التي تنشئ بها جيشا أو مصرفا مركزيا . إذ يعتمد المجتمع المدني المزدهر على عادات الناس وتقاليدهم الأخلاقية وهي سمات لا تتشكل إلا بطريقة غير مباشرة عبر الفعل السياسي ، ومن الضروري تكريسها وتنميتها عبر زيادة الوعي واحترام الثقافية .(**فرنسيس فوكوياما، 2015، ص23**) .

يرى المؤلف أن صلاح أحوال أي امة والحفاظ على قدرتها التنافسية والسوق الاقتصادية يبقيان مشروطين بتوافر سمة ثقافية وحيدة وراسخة إلا وهي الثقة ومدى توافرها وتأصلها في المجتمع ، ويأتي المؤلف بمثالين للثقة عن شركتين كبيرتين أحدهما (مازدا)والأخرى ألمانية (مرسيدس) فكلتا الشركتين تعرضت في وقت من الأوقات الماضية لصعوبات اقتصادية أوشكت أن توصلهما إلى حد الإفلاس وكلتا الشركتين تم إنقاذهما بواسطة ائتلاف من الشركاء والمصارف ،كما يضرب المؤلف أمثلة أخرى على التكافل والتضامن بين الشركات ، ويستخلص من هذه الأمثلة أن الثقة المتبادلة التي دفعت المنقذ إلى مد يد العون إلى الشركات التي تواجه المصاعب. (**فرنسيس فوكوياما، 2015، ص23**).

7)الثقة ثقافة

الثقة هي رأس مال اجتماعي، ويرى المؤلف أن المجتمعات الأمريكية والألمانية واليابانية هي مجتمعات عالية الثقة وذات نزعة اجتماعية واضحة تجعلها الأقدر على التواصل و التلقائية

ولكنه يرى أن المجتمع الأمريكي في الجيل أو الجيلين الماضيين بدأ يتغير بصورة درامية من حيث القدرة على التلقائية على التواصل ويعود ذلك إلى تردي مستوى الثقة وانحدار قيم الود والتواصل الاجتماعي وهو ما يتجلى بوضوح من خلال ارتفاع نسبة جرائم العنف وازدياد الخصومات في المحاكم وتفكك بنية الأسرة وتداعي عدد كبير من البنى الاجتماعية مثل النقابات والكنائس والنوادي والجمعيات الخيرية .

يعالج المؤلف في الجزأين الثاني والثالث مسألتين تشكلان معبرين رئيسيين لتحقيق التفاعل والتواصل وهما على التوالي " العائلة " والمجتمعات فوق العائلية " ففي المجموعة الأولى نجد بلدان مثل الصين وفرنسا وايطاليا وكوريا الجنوبية حيث تشكل العائلة الوحدة الأساسية للتنظيم الاقتصادي وقد واجه كل من هذه المجتمعات في تجربته الخاصة صعوبات كثيرة في إقامة مؤسسات ضخمة تتجاوز نطاق الأسرة مما استدعى تدجل الدولة المباشر للتشجيع على بناء شركات مستقرة قادرة على الاستمرار والمنافسة في الأسواق العالمية.(**دبلة عبد العالي، مرجع سابق**).

وفي المجموعة الثانية " مجتمعات فوق عائلية " يسوق المؤلف كمثال على ذلك المجتمعين الألماني والياباني تحديدا وكلاهما مجتمع عالي الثقة استطاع إقامة شركات ضخمة لا تعتمد على صلات القرابة كما استطاع كلاهما أن تبني أساليب الإدارة المحترفة في فترة مبكرة ويتوقف المؤلف هنا عند مثال شركة تويوتا المعروفة لصناعة السيارات التي رأى فيها نموذجا واضحا على قدرات مجتمعات الثقة العالية على ابتكار صيغ وأشكال جديدة للتنظيم

8) نتائج عامة :

ويخلص المؤلف إلى نتائج عامة حول مستقبل المجتمع الدولي والدور الذي تلعبه الحياة الاقتصادية في السياق العام لمجمل النشاطات والفعاليات الإنسانية .

نتيجة أخرى الديمقراطية الليبرالية التي تظهر إلى الوجود في عصر نهاية التاريخ ليست حديثة تماما فنجاح المؤسسات الديمقراطية والرأسمالية مشرط بقدرتها على التعايش مع جملة عادات وتقاليد ثقافية ترجع إلى ما قبل العصر الحديث.(**دبلة عبد العالي، مرجع سابق**).

تأكيد على البعد الأخلاقي والبعد الروحي لهذه الليبرالية .

يصر على أن الليبرالية الاقتصادية هي الأمثل الذي اختارته البشرية (**دبلة عبد العالي، مرجع سابق).**

9)الانتقادات الموجهة لنظرية فوكوياما

عارض الرئيس الفنزويلي السابق هوغو شافيز ''نهاية التاريخ''، حيث ناقش قضيته في خطاب ألقاه في سبتمبر 2006 أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، وقبل ذلك بفترة وجيزة، في أغسطس 2006، كتب فوكوياما ردًا على حجة شافيز، وكانت النقطة الرئيسية هي أن شافيز كان ممكنًا فقط بسبب احتياطيات النفط الفريدة لفنزويلا، وبالتالي لن ينتشر.

يمكن تلخيص الفلسفة الاقتصادية والاجتماعية لفوكوياما باعتبارها ليبرالية السوق الحرة، على الرغم من أن هذا يميل إلى أن يكون كلمة غامضة، إلا أنه يستخدمها بالمعنى المناسب للوقت الذي تم فيه نشر الكتاب، لقد قيل إنه ربما يكون محافظًا جديدًا في بعض النقاط، إن ميله الأخلاقي متشابه بشكل لافت لكنه لا يتماشى مع الآباء المؤسسين بينما يتبنى نفس الشكل من الحكومة لتجنب النقاشات البسيطة **(إسراء حسان، 13 مايو2019) .**

خاتمة

لقد حاول فرنسيس فوكوياما تقديم هذه الأطروحة التي تظهر تطرفا أيديولوجيا منحازا الى الدول الليبرالية الرأسمالية، معتمدا في ذلك على إحياء روح الفلسفة الهيغلية ، ومستدلا بمجريات الأحداث الأخيرة المتعاقبة ، التي تظهر انتصارات الغرب الليبرالي ، لكنه نسي أو تناسى عن قصد المنطق الحضاري المعروف والذي ينطلق من مسلمين هما أن الحضارة تراث إنساني تتشارك في صنعه كل البشرية وبالتالي لا يمكن أن نسند الفضل فيه الى حضارة معينة ، كما أن الحضارة تسير بشكر تناوبي بين الثقافات والشعوب ولا يمكن أن تقف عند نوع بشري معين مهما بلغ من درجة في التحضر والتنظيم السياسي والاقتصادي ومهما امتلك من قوة عسكرية .

– الإحالات والمراجع :

الكتب .

1– حسين علي (2002).**نهاية التاريخ أم صدام الحضارات** ، دار النفائس ،دمشق ، ص .43

2– عبد الرزاق الداوي (2013). **في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة** ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ،بيروت ،لبنان ، ص ص 63،62،61، 68،67،66. .

3– فرانسيس فوكوياما (1993). **نهاية التاريخ والإنسان الأخير** ، ترجمة مطاع الصفدي وآخرون ،مركز الانماء القومي ، بيروت، ص 5.،25 ،31 .

4- فرنسيس فوكوياما(2015). **الثقة ،الفضائل الاجتماعية ودورها في خلق الرخاء الاقتصادي** ، ترجمة معين الامام، مجيب الامام ،منتدى العلاقات الدولية والعربية ، الدوحة ،قطر، ص 27،23.

المحاضرات

.5- دبلة عبد العالي (2007/2006). **محاضرات مقدمة لطلبة الماجستير علم اجتماع** ، قسم علم الاجتماع ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة محمد خيضر بسكرة ،.

.المواقع الالكترونية

6- إسراء حسان (13 مايو 2019). **ماهي نظريه فوكوياما**، المرسال ،https://www.almrsal.com/post/832470 ، تاريخ الزيارة 2020/08/17

8- الحسيني محمد (2020/02/16) .**فوكوياما: لقد فهموا نظريتي خطأ! متى تموت «نهاية التاريخ»؟**، ساسه بوست، تاريخ الزيارة 2020/08/17

8- بول ساجار (3 أبريل، 2017). **بعد 25 عاما على صدور «نهاية التاريخ».. دفاع عن فرانسيس فوكوياما آخر الضحكات الجوفاء**– ترجمة أحمد شافعي ،عمان ، https://www.omandaily.om/?p=457277# ، تاريخ الزيارة 20/08/17.